فاعليّة النّقد الإعلامي الكتابي عبر وسائل الاتصال
(رؤية تقويمية لأداء الصّحافة)

✍ د. أحمد محمد أحمد صافي الدّين (★)

الحمد الله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه، وبعد تتناول هذه الورقة التي جاءت بعنوان:"فاعليّة النّقد الإعلاميّ الكتابي عبر وسائل الاتصال-(رؤية تقويمية لأداء الصّحافة) موضوعها في خمسة مباحث تناول الأول المبحث الأول-النّقد: مفهومه وضوابطه ومنهجيّته وآدابه، وتناول الثاني المبحث الثّاني-آفات ومعوقات النّقد عبر وسائل الاتصال، وتناول الثالث شروط وأساليب النّقد وقوالبه، بينما تطرق الرابع إلى النّصيحة في التّراث الإسلاميّ، وجاء المبحث الخامس الشّفافيّة وعلاقتها بالنّصيحة واحتوت الورقة على مقدمة وخاتمة تضمنت نتائجها وتوصياتها. هنالك ضرورة ماسة لدراسة جوانب الأزمة في الشّخصيّة المسلمة المعاصرة، ودراسة الحلول العلميّة للارتقاء بها، وشحذ همم العلماء والباحثين لبذل الجهود الضّروريّة لإعداد الصّورة الحضاريّة للشّخصيّة المسلمة في الحاضر والمستقبل. إنّ الشّخصيّة المسلمة المعاصرة لم ترق إلي النّموذج الحضاريّ المعرفيّ والعمليّ الذي جاء به الإسلام، الأمر الذي يدعو إلى التّساؤل حول الأسباب التي أدت إلى ذلك ، والنّتائج التى ترتبت علي غياب دور الإنسان المسلم في تشكيل عالم اليوم .وفي مقام الأسباب ، هناك من يشير إلي النّظم التعليمية ، وهناك من يشير إلي النّظم السّياسيّة ، وهناك من يشير إلي النّظام الدّوليّ، وهناك من يشير إلى الجهل والتّخلف العلميّ .فالعصر هذا يرى فيه النّاس الحقّ باطلاً، والباطل حقا، بسبب طمس البصائر والفطر، هنالك ضرورة ماسة لوجود مواثيق أخلاقية في كافة المهن، ووجود معيارية في ظل الاعوجاج والاختلاف في النّظر والفكر. ففي عصر اضطراب القيم وفساد الفطرة ، وفقدان البوصلة التي تدل على الطريق القويم، يحتاج الإنسان إلى رؤية مبصرة وآليات لتقويم الاعوجاج على هدى وبصيرة. لقد كان وما يزال للمذهبية

(★) رئيس قسم الصحافة والنشر بكلية الدعوة والإعلام بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية .

الهدامة الدور الكبير فيما آل إليه واقع المجتمعات، فما بين اليمين واليسار والوسط، وما بين السلفيين والحداثيين، والمتشددين الغالين من أهل الإفراط والمفرطين، وجبهة العلمانيين مقابل الروحانيين تضيع جملة الحقائق وتلتبس الأمور. فالصراع بين الحق والباطل، وتداول معاول الهدم مع جهود البناء في ظل الاضطراب وغياب أدب الاختلاف وفقا للرؤية الإسلامية يضيع الكثير، وتبقى النصيحة إما معروضة من منطلق يفتقر حسن القصد وسلامة النية، على غرار خفف لهجة التقرير من قبل أهل الولاء كما في الحدوتة الصينية، أو من باب الهجوم والنقد الهدام من قبل الرأي الآخر المعارض. هنالك ضرورة لمعرفة مفتاح شخصية المنصوح لتحقيق أهداف النصح، ففي حال شيوع الفساد تقتضي الحكمة مراعاة الواقع، وان الترجيح بين النفع والضرر المترتب على قول النّصيحة أمر مطلوب. فالناس يختلفون في العلم والمعرفة والاستقامة، فبعضهم إما جاهل وإما معاند، وإما طيب النفس يحتاج إلى معونة . فلعل من أصول الإيمان توجيه النّصيحة لكلّ مسلم. والفضيلة هي معيار تقدم الأمم والجماعات، وأساس الحكم على تقدم الشّعوب وتهذيبها[1]. ففي ظل وجود منظمات وجمعيات تبحث عن الشفافية، وفي عصر انتشار اللامعيارية ، والفساد، وتعارض المصالح، لم يكن هنالك من بد من استخدام شبكات الاتصال والشبكات الاجتماعية في تبادل المعلومات لتحقيق مزيد من الشفافية والعدالة . ففي ظل سيادة غير معيارية يغيب العقل وتفتقد الحكمة، ويبرز سلطان الهوى. وتعد الصّحافة بمثابة رأس الرمح في العمل الإعلاميّ، وهي بالنظر لخصائص الكلمة المطبوعة يتضح أثرها على الرأي العام بجلاء، لا سيما في عصر الاضطراب الذي نعيشه اليوم. فكثير من الصحفيين لهم ميول استخبارية، وهنالك أفكار دخيلة على المجتمع تعبر عنها طائفة من التنظيمات السياسية، والصحف لها دور في الترويج لهذه الأفكار والمذاهب الهدامة. وبالنظر إلى سلطة الصحافة بغض النظر عن تسميتها رابعة أو غير ذلك، فان الرسالة الصحفية ذات فاعلية وتأثير كما تشير الوقائع ، ولها دور وطني تعبوي ايجابي، كما أن لها دوراً سالباً في القضايا الوطنية. ولا بدّ من التذكير بأن الهدف من النّصيحة هو تصحيح العيوب والأخطاء لدى الأفراد والجماعات والمؤسسات والأنظمة، وليس إشاعة أفعالهم السيئة أو فضحهم . ويستلزم تحقيق هذا الهدف بالضرورة استخدام

(1) وهبة الزحيلي، ص 33 .

الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. ولعل كثيراً من الناس يجهلون تأثير الكلمة على الآخرين، فالكلمة الطيبة قد تكون سبباً في شفاء إنسان أو سعادة آخر، وقد تكون الكلمة الخبيثة سبباً في إيذاء الآخرين أكثر من الضرب. ورب كلمة ناعمة تحدث تأثيرا يفوق قوة المدافع والأسلحة. إن الاستراتيجيات الدولية في العقود الأخيرة تقوم على قوة التغيير الناعم، بدلاً عن الألفاظ الخشنة والعبارات الجارحة، والمواجهات اللفظية ، والملاسنة وغيرها من أساليب ممارسة. فحرب الرؤى، وصرير الأقلام، والتخطيط العقلاني واستخدام الفنيات والحيل والخداع هي أساليب بديلة للحروب التي تهلك الحرث والنسل. وقد ساهمت وسائل الاتصال ومن بينها الصحافة في الحرب التقليدية من خلال العديد من الوسائل الالكترونية وغير الالكترونية التي أضحى لها تأثيرها الواضح. وفي ظلّ الاعوجاج الذي انتشر بين الأفراد والجماعات في المجتمعات كافّة بسبب فساد الفطرة والعقل، فانّ تقويم هذا الواقع لا بدّ فيه من بذل الجهود، من خلال بيان معاني النّصيحة وحقيقتها، وإبراز أهمّيّتها وضرورتها للأفراد والجماعات، والتّعرف على الصّفات التي ينبغي أن يتحلى بها الناصح، وتوضيح المنهج الشرعي في النّصيحة وكيفية التّعامل مع المنصوحين من خلال النّقد البنّاء للنّاصحين. ففي عصر العولمة الإعلامية ، لم يعد الناس بحاجة إلى فرد أو جماعة أو أية جهة تواري الحقيقة وتلبسها لبوساً أيا كانت. والنّاس بكلّ تأكيد لا يريدون من يحدثهم بنصف لسان، وبنصف الحقيقة، وبنصف الصدق؛ وإلا أصبحنا قوماً بنصف وجه قوماً منصفين، نرى بعين واحدة محاسننا فنفتن بها، ونغمض العين الأخرى عن مثالبنا فتزداد أخطاؤنا وتضخم عيوبنا ويتسلل العطب والخلل والبلادة والخمول والاستكانة في مجتمعاتنا. إنّ الواقع يشير إلى وجود آفات تعرض للنّصيحة، كما يؤكد وجود ما سمي بنظرية النقد العوراء، ولكي تتحقق المقاصد السامية للناصح، لا بدّ من التّعرف على أسباب نجاح النّصيحة من أجل تحقيق المعاني السّامية في ضوء التّعاليم الإسلاميّة.

إنّ تجربة التّراث الإسلاميّ زاخرة بالنّماذج المشرقة والتّطبيقات التي نحن في أشدّ الحاجة لها. فالبحث عن المنهج البنائيّ في تقديم النّصيحة هو أمر واجب، والتّخلي عن المناهج الهدّامة في النّقد ضرورة ، ولا يستقيم الأمر إلا

بنشر ثقافة النّصيحة على الوجه المطلوب الذي يحقق المقاصد الشّرعيّة. ولطالما أنّ النّاس بالنّاس، وانّ المصالح المشتركة بين النّاس تظلّ قائمة، وان التّعارض بينها سمة لازمة، فان الاحتكام إلى المناهج الشّرعيّة أمر لا مندوحة عنه من أجل تقويم الاعوجاج وسيادة العدل الذي به تستقيم الأمور، وتتحقق المقاصد من خلال تحقيق دور فاعل للإعلام.

مشكلة الدّراسة:

تعاني المجتمعات العربية وغيرها من صراع بين السلطة والسيطرة على وسائل الاتصال.إنّ النّظر إلى الأقوال والأفعال وتمييز صحيحها وحسنها من سقيمها ومعيبها، وإخراج الزّيف يعد معضلة كبرى، وهنالك دور لوسائل الاتصال في هذا الجانب. كما أن هنالك خللاً في واقع المجتمعات المعاصرة، وإنّ تقويم الاعوجاج الذي هو واقع ماثل في دنيا النّاس اليوم على مستوى الأفراد والمجتمعات والأنظمة الحاكمة يحتاج إلى منهجيّة تستخدم الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. ففي ظلّ غياب مبدأ الحوار وعدم قبول النّصح والنّقد من الآخر المخالف، وانعدام الشّفافيّة، يشكّل واحدة من اكبر التّحديات التي تقعد بالمجتمعات عن تحقيق العدل وسيادة القيم والأخلاق. إن الورقة تناقش ضمن موضوعها علاقة الإعلام المكتوب بالسلطة، وهنالك تلازم بين إعلام السلطة والإعلام المناوئ لها، فوجود هذا يقتضي وجود الآخر. كما أن هنالك ضرورة للوصول إلى صيغة مثلى تحكم الإعلام في بنظم السلطة المختلفة. فالصّراعات تستعر كلّ يوم، وشقّة الخلاف تزداد وتيرتها باستمرار، ووجهات النّظر ظلّت دائماً في حالة من المد والجذر. فالخروج على الحكام شكل ظاهرة خطيرة التّأثير على الأمن. والنّزاعات قد استنزفت طاقة المجتمع،

وبدل أن تتجه الجهود نح و البناء والإعمار، فهي مكرسة لوقف معاول الهدم إن هي أفلحت. إنّ النّصح يختلف وفقاً لمكانة المنصوح، فنصح الأصدقاء، ونصح الولاة، ونصح الحكام، ونصح المرؤوسين، يختلف في كلّ حالة. هنالك ضرورة لحوكمة وسائل الاتصال في ظل واقعها الراهن بسبب عدم فاعليتها وضعف إسهامها في معالجة مشكلات المجتمع ضمن إطار وظائفها. وتسعى الدّراسة إلى البحث عن أسباب قبول النّصيحة. وتستهدف الدّراسة تحقيق الكشف عن المنهج المثالي لتقديم النّقد والنّصح. وتقديم رؤية حول تفعيل وسائل الإعلام والاتّصال في تحقيق المقاصد الشّرعيّة. والتّبصير بضرورة استخدام منهجيّة بنائية للارتقاء بالفرد والمجتمع. وبيان المعايير اللازمة لقبول النّصح.

المبحث الأول

النّقد: مفهومه وضوابطه ومنهجيّته وآدابه

يقول فضيل بن عياض لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان، فقيل له يا أبا علي: فسر لنا هذا؟ قال إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان، صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين [1] .ولعل هذه العبارة على وجازتها تعكس أسس تقديم النصح. إذا كان النقد مقصود به بيان المثالب والمناقب، ويستهدف إظهار الحقيقة وتقويم المعوج من الأمور، أو تحقيق تغيير بدرجة من درجاته الثلاث: التغيير باليد، التغيير باللسان، التغيير بالقلب، فان القضية تتطلب الحكمة . و لا خير في قوم لا يتناصحون، ولا خير في قوم لا يقبلون النّصيحة. فعن أبي رقية تميم بن أوس الدّاريّ- رضي الله عنه- قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: "الدّين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين

(1) شرح السنة للبربهاري ص51

وعامّتهم"[1]. ويرى سيد قطب أن أهم عناصر مأساة المجتمع البشري تتمثل في: الجهل المطبق بالإنسان، وتخبط الحياة البشرية لقيامها على أساس من هذا الجهل، وقيام حضارة مادية لا تلاءم الإنسان، وبروز آثار هذه الحضارة وتضخمها في الأمم التي وصلت إلى قمة الحضارة المادية[2].

مفهوم النّقد أنواعه ونطاقه:

النّقد لغةً: خلاف النّسيئة، وهو الإعطاء والقبض، تقول نقدته الدّراهم، ونقدتها له بمعني أعطيته، فانتقدها: أي قبضها. وقال القاضي عياض: النقد: ضدّ العرض والدّين، فيشمل المضروب وغيره . وقال الخطيب الشربيني: أصل النقد لغة: الإعطاء، ثم أطلق النقد على المنقود؛ من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول . وأما في الاصطلاح فهو لا يخرج عن المعنى اللّغويّ، فالفقهاء يذكرون النقد بمعني الذهب والفضة، ويذكرونه بمعني إعطاء الثمن من المشتري للبائع. وللنّقد ثلاثة أنواع:أولها النّقد العلميّ أو الموضوعيّ ويسمى النّقد الكانطيّ، وهو نقد يهتم ببيان العيوب والمزايا على السواء، إذ ينطلق صاحبه من الإخلاص للفكرة، بغض النّظر عن قائلها. وسبب تسميته بالكانطي هو أنّ كانط قد ألف كتابين أحدهما نقد العقل العملي وثانيهما نقد العقل الخالص . فلو لم يكن موضوعيا لما انتقد النقيضين. وثانيهما النقد الأحول وهو نقد من تحب فتهتم ببيان المزايا وتكبرها، وتتجاهل العيوب أو تصغرها، وفيه قول الشاعر: وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلة. وثالثهما النقد الأعور ، وهو نقد الإنسان لمن لا يحب فينشغل ببيان العيوب دون المزايا لأن بغض المنقود قد أعمى عن رؤية أية مزية، وفيه قول عينَ السُّخْطِ تبدي المساويا.

هنالك العديد من الضوابط المطلوب الالتزام بها من قبل الناقد في ممارسته عملية النقد منها: أن النقد في السر نصيحة وفي العلن تشهير وفضيحة، ومنها الإنصاف، ومنها الجمع بين الايجابي والسلبي في النقد، وإعطاء المنتقد فرصة للدفاع عن نفسه، وأن يكون النقد فيما ظهر وما خفي فلله أمره، والاستفادة من تجارب النقد، ووضوح الرسالة النقدية، وعدم الكيل بمكيالين،

([1]) رواه مسلم.

([2]) صلاح الدين الخليفة احمد الحسن، المذهبية الإسلامية في علم الاجتماع، ص 188-189.[2]

والتدرج في النقد، واقتراح الحلول، وفي نهاية المطاف فان النقد هدية، يتوجب على صاحبها معرفة كيفية تقديمها. و من القواعد والأصول المقررة: أن الأصل الشرعي هو تحريم النيل من عرض المسلم ضمن إطار المقاصد الشرعية الخمسة ومنها حفظ العرض. وأن الأصل في المسلم حسن الظن به قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ [1]. وأن الأصل اشتغال المرء بعيوبه وأخطائه ، والجماعة كذلك، ومن القواعد والأمور المهم معرفتها في هذا الباب هو: أن نفرق بين النقد في القديم والحديث، فقد كان النقد في العصر الأول يعمل به ويقبل بلا غضاضة ، فيقوم الرجل من عامة المسلمين يرد على الوالي فيقول له: لا سمع ولا طاعة حتى يستفسر عن أمر معين ، وتقوم المرأة كذلك، ويقوم العلماء بالتصحيح لبعضهم بعضا بلا خوف ولا استنكار حتى يطمئن الجميع أن مقاصد الشريعة محفوظة لمقاصدهم النبيلة في النقد ، ولمعرفة ضوابط النقد ، وأيضاً لما اتصفوا به من العدل والإنصاف. أما اليوم فيجب مراعاة التغيير في نفوس الناس وطبائعهم، ومعرفة ضوابط النقد وشروطه وحال الناس ونفسياتهم. كما لا بد من معرفة مناهج النقد الثلاثة ففريق تغلب عليه المسامحة فلا ينتقد بحجة أن النقد يفرق. و فريق آخر لا يتسامح في شيء حتى يصل إلى التكفير والتفسيق والتبديع لمجرد الأهواء والأحقاد ، والهفوات، وثالث وسط بين الفريقين يمثل هذا المنهج أهل السنة والجماعة بمنهجهم المميز في النقد الذي يوافق الحق وما جاء به النبي - ﷺ. هنالك لافتات إسلامية ترفع على الأوضاع الجاهلية، وهو جزء من الأساليب التي تخدم أعداء الإسلام ومناهضيه [2]. ومثل هذه الأساليب تحتاج إلى مناهضة عقلانية. إن كتب التراث تشير إلى موقف الإمام أبو حنيفة تجاه محنة خلق القرآن، وهي قضية تتطلب النصح لله ولرسوله ولائمة المسلمين. فقد عوقب أبو

(1) سورة الحجرات 12 .
(2) سيد قطب، التربية الإسلامية في ظلال القرآن، جمع وإعداد عبد الله يس، ص 177.

حنيفة فحبس وضرب وقبل انه سمم فما لانت له قناة، ولم يزغ عن منهج النصيحة القويم. فقد أوضح في معرض رده على الخليفة معتذراً عن تولى القضاء: لك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك، فلا أصلح لذلك [1]. فليس من الحكمة أن تسيطر الأنظمة على أداء وسائل الاتصال وإنما ينبغي أن تمكنها من تحقيق دور في النصح والإرشاد وفقاً لرؤية مهنية منطقية وموضوعية بعيدا عن صراع القوى.

المبحث الثّاني

آفات ومعوقات النّقد عبر وسائل الاتصال

تؤدي وسائل الاتصال دوراً تكاملياً فيما بينها، حيث أن النص المكتوب والكلمة المنطوقة والصورة بنوعيها تشكل جميعها عالم الوسائط المتعددة، في ظل اندماج وسائل الاتصال. وتتسم الأنظمة الصحفية العربية بسمات عدة من بينها أنها انعكاس للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية السائدة، وأن النظام الصحفي السلطوي يشكل الاتجاه الغالب على الأنظمة العربية، ولا يوجد نظام صحفي نقي بل هو خليط من عدة أنظمة [2]. كما تشير أبرز معطيات نموذج الحكم الاجتماعي إلى أن اتصال المعلومات بذات الفرد أو أهميته هو العامل الأهم في استعداد المتلقي للتغيير، وان الأفراد الذين لا يتصل الموضوع بذاتهم يكونون أكثر استعداداً للتغيير والإقناع . وعندما يكون الموضوع مهماً عند أفراد معينين فإنهم لا يرونه إلا من جانب واحد هو الجانب الذي يتفق مع مواقفهم، ويرفضون المعلومات البديلة والتي تفسر الجوانب الأخرى [3]. وهنالك وظيفة ظلت تؤديها وسائل الاتصال عبر السنوات والعقود الماضية. فالإعلام والإخبار والشرح والتفسير والتوجيه والتسويق والإعلان هي وظائف تطالب الصحافة بالقيام بها، فالصحافة لها خطرها على المجتمع مثلما لها أثرها الايجابي في الارتقاء به. ولقد وُجِهت الصحف في كثير من المجتمعات بانتقادات سالبة تجاه دورها في المجتمع. والحقيقة هي أن الصحف مرآة تعكس ما يدور في المجتمع سواء كان سلبيا أو ايجابياً. وهي قد تكون جانية، وربما كانت ضحية

([1]) محمد ابو زهرة، ابو حنيفة حياته وعصره، ص46.

([2]) فاروق أبو زيد، مدخل علم الصحافة، ص7.

([3]) رضا عكاشة، تأثيرات وسائل الإعلام من الاتصال الذاتي إلى الوسائط الرقمية المتعددة، ص109.

تقع تحت تأثير منظمات وكيانات وجهات تؤثر في أداء رسالتها. لقد نشأت الصحافة على يد الأوربيين في إفريقيا على يد الأجانب، وقد كانت موالية لهم بطبيعة الحال، كما نشأت على يد الوطنيين المتعلمين في الدول العربية، أما في السودان فكانت بداياتها على يد الأجانب الموالين للانجليز [1]. إنّ الصحف السودانية يغلب عليها اهتمامها بالرأي المقال السياسي لأسباب عدة من بينها كثرة الأحزاب والطوائف [2]. وتحتاج طبيعة المهنة إلى الاستقلالية لا إلى التبعية، فطالما يوجد الإعلام الذي يدافع عن السلطة بالحق وبالباطل من اجل البقاء ليس إلا، فلا بد من وجود طرف آخر ينازع ويكون ضد هذا البقاء [3]. فقد خلصت بعض الدراسات إلى أن النظم العربية تبالغ في تنظيم حرية الصحافة من خلال التشريع إلى درجة تقيد هذه الحرية وتحد منها. وأن واقع الصحافة ووسائل الإعلام في ظل الواقع الراهن هنالك ثلاثة سيناريوهات أولها استمرار الأوضاع الحالية في ظل المتغيرات السريعة الخطوات، وثانيها ازدياد الأوضاع سوءاً بفرض مزيد من التشدد، والثالث وهو الراجح ويتمثل في اتساع هامش الحرية بسبب التطورات التقنية والضغوط والمتغيرات. ويؤيد هذا الخيار الاتجاه نحو إلغاء وزارات الإعلام في بعض البلاد العربية مثل قطر في 1996م، وتونس 1997م[4]. هنالك ضرورة لوجود نظرية واتفاق يحكم العلاقة بين الإعلام والسلطة . فالنظام الإعلامي في مجتمع ما ليس سوى تعبير عن النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد في المجتمع . إن الدراسات التي تناولت علاقة السلطة والإعلام توصلت إلى بعض القوانين منها: القانون الأول- وجود ارتباط وثيق بين وجود سلطة مطلقة في مجتمع ما، وبين قيام الإعلام في هذا المجتمع بدور الأداة التي تبرر وجود هذه السلطة وتدعم شرعيتها وتزود عنها ضد خصومها ومنافسيها وبذلك يتحول الإعلام إلى دعاية. والقانون الثاني:عندما يصبح الإعلام السائد في مجتمع ما، هو إعلام السلطة، فلا بد أن يوجد في الوقت ذاته الإعلام المناوئ للسلطة القائمة. والقانون الثالث: عندما تتعدد قوى السلطة

([1]) صلاح عبد اللطيف، الصحافة السودانية :تاريخ وتوثيق، ص 19.
([2]) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 166.
([3]) فاروق ابو زيد ، ص 11
([4]) ليلى عبد المجيد، تشريعات الصحافة في الوطن العربي: الواقع وآفاق المستقبل، ص254-255.

في مجتمع ما، لا يعود الإعلام أداة في يد السلطة الواحدة، وإنما في أياد متعددة. والقانون الرابع: وجود علاقة وثيقة بين التطور الحديث وتكنولوجيا المعلومات والاتصال والإعلام وبين تمدد التعددية السياسية في المجتمع، يتحول الإعلام إلى سلطة مستقلة[1]. والمتتبع للثورات العربية أو ما سمي بالربيع العربي يلحظ الأثر الواضح لوسائل الاتصال فيما يدور من تيارات متصارعة. ويعد ما يجري نتيجة طبيعية لمقدمات طال أمدها في كثير من البلاد العربية، فالأنظمة الإعلامية قد تصدعت جدرها والسياسات الاتصالية باتت هي الأخرى متآكلة لا تصلح لتسيير دفة الأمور في ظل واقع مرير يحتاج إلى الإصلاح، ولم يكن من بد من التغيير بسبب دور وسائل الاتصال ومن بينها الصحافة في تحريض الشارع العربي للخروج. إن تحليل النظم الإعلامية العربية من خلال دراسة نمط الملكية، وحق البث والإصدار، والتأمين المالي، وحق ممارسة العمل الصحفي، والجزاءات والعقوبات،والرقابة وحق انتقاد نظام الحكم، وحق انتقاد رئيس الدولة، وحق الحصول على المعلومات يقود إلى رؤية واضحة حيال حق وسائل الاتصال ومن بينها الصحافة الورقية والالكترونية في القيام بدورها [2]. فمنطق العقل يقتضي القول بعدم وجود مسئولية من دون سلطة، ولا سلطة لا تقابلها مسؤولية، فوجود سلطة لا تقع عليها المس ؤولية ومسؤولية لطرف بلا سلطة تنذر الأمور بكارثة تقع طال الزمن أو قصر. كما أن هنالك مسئولية لوسائل الاتصال تجاه المجتمع . فللصحافة دور رقابي لا بد لها من القيام به وتحقيقه من واقع ممارسة الدور واكتساب حق التعبير الحر، ومراقبة وممارسة حق النقد للسلطة، والمساهمة في صناعة القرار[3] . من المأثور: "أدِّ النصيحة على أكمل وجه، واقبلها على أي وجه . كما تتمثل مظاهر الأزمة في الشخصية المسلمة المعاصرة عامة في الغلو والتشدد وغياب الوسطية والاعتدال، والتفريط في تحقيق الكفاية، وغياب فقه الأولويات، وتعطيل قيم النهضة والشورى و العدل و الاتحاد. هنالك بعض المشكلات التي تواجه بناء الشخصية والتي تسهم في تحقيق النقد وتتمثل في افتقاد الحرية وشيوع الاستبداد، وسلبية العلاقات

([1]) فاروق ابو زيد، ص 10-11

([2]) فاروق ابو زيد، الإعلام والسلطة ص 120-125

([3]) فاروق ابو زيد، الاعلام والسلطة،ص 101-102.

الاجتماعية، والجهل بالأساليب التربوية السليمة، وعدم الثقة بالذات لدى البعض، وافتقاد الرؤية الإسلامية للكون والإنسان والحياة، والجهل بالأساليب التربوية السليمة . هنالك مقومات ضرورية لبناء شخصية الداعية الناصح والتي تشمل البناء العقدي، والبناء الفكري، والبناء النفسي والتربوي، وأهم من ذلك كله تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر. وقد ورد في صحيح البخاري أن الزِبرِقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، قدما في وفد تميم إلى مجلس النّبي ﷺ، ففخر الزبرقان فقال: يا رسول الله ، أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب ، أمنعهم من الظلم وآخذ منهم بحقوقهم ، وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهتم فقال عمرو : إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أذنيه. فقال الزبرقان والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال ، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد ، فقال عمرو : أنا أحسدك ؟ والله يا رسول الله إنه لئيم الخال ، حديث المال ، أحمق الوالد، مضيع في العشيرة . والله يا رسول الله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الآخرة ، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت ، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت . فقال النبي ﷺ: إن من البيان لسحراً . ففي كثير من الأحيان يتحول النقد من موضوعه إلى المنقود. وتلك علة وممارسة موجودة في كثير من المجتمعات. فالمستهدف بالنقد من خلال وسائل الاتصال أو الصحافة بنوعيها السلوك والممارسة وليس الشخص في حد ذاته، فمن آفات النقد من خلال الصحف اكتساب الأمر سمة من سمات التشهير ، وبلوغ الأمر مرتبة سوء القصد وسوء النوايا. ولا بد من التمسك بشروط النقد من خلال وسائل الاتصال. فإبداء حسن النية، واستخدام العبارات المناسبة أمر ضروري في إطار تحقيق وظيفة النقد. أن استخدام وسائل الاتصال في النقد أمر يتطلب مراعاة الخصائص النفسية للمنصوح، في ظل تبوئ مركز في السلطة. فهنالك خصائص نفسية لا تخلو منها كثير من المناصب منها الرغبة في الاستقرار والاستمرار، و الرغبة في خضوع الآخرين وكسب ولائهم، و الهاجس الأمني الذي يجعل السلطة في حالة خوف وحذر واستنفار، والضيق بالمعارضين ومحاولة دفعهم بعيدا عن دائرة النفوذ والتأثير، والعناد والكبر، والميل للانتقام ممن يهدد أو يظن أنه يهدد استقرار أو استمرار أو هيبة السلطة. و الازدواجية في إعلان مبادئ معينة براقة ومثالية وعادلة وفي ذات الوقت تخفي الحرص الشديد على المصالح الذاتية، ويعرف ذلك بمصطلح

"الفجوة بين الأيديولوجية والسيكولوجية". هنالك عدة أمور يراعيها الناقد منها أن يوقن في نقده الفائدة للآخرين. وأن يقصد في نقده أمراً بمعروف أو نهياً عن منكراً أو تصحيحاً لأخطاء الآخرين. وأن لا يتسبب بنقده في إيجاد مشاكل جديدة أو أكبر ممن ينتقدها . وأن لا ينشأ بنقده عداوة أو بغضاء لدي الآخرين. وأن يفكر كثيراً في نقده ويراجع دوافعه لذلك، ويحدد الهدف منها قبل أن ينتقد . وأن يسعى بنقده إلي تعليم مهارة، أو معرفة جديدة، أو تصويب خطأ، أو تحسين أداء . وأن يبتعد في نقده عن المساس بالأشخاص أو التجريح فيهم، ولكن النقد يكون في السلوك والأفعال والأقوال . وأن لا يتتبع العثرات والهفوات وخاصة لأصحاب العلم والفضل.

المبحث الثّالث
شروط وأساليب النّقد وقوالبه

لاعتبار حق النقد سبب من أسباب الإباحة أياً كانت صفة من وجه إليه الانتقاد ، تراعى شروط منها: أن ينال النقد أعمال وتصرفات الأشخاص العامة لا شرفهم واعتبارهم الشخصي. و صحة الواقعة أو الاعتقاد بصحتها، وأن تكون للواقعة محل النقد والدراسة أهمية اجتماعية، وعدم التعسف في استعمال حق النقد. ومما يجدر ذكره انه لا يجوز التعسف في استعمال حق النقد ولا الخروج عن حدود مقتضياته، وتوافر حسن نية الناقد. هنالك يشير ابن خلدون إلى أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء، وبعيدة عن المروءة. وأن الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس، فأفعال الخير تعود بآثار الخير والذكاء، وأفعال الشر تعود بضد ذلك [1]. فهنالك فقدان للمعايير الضابطة لمختلف جوانب الحياة. كما يشير ابن القيم إلى أن قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضدّه. وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك هو والاعتقادات والإرادات. فإذا كان القلب ممتلئا بالباطل اعتقادا ومحبّة، لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبّته موضع،

(1) مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول،ص 333.

كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع، لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه، إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل. وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها فكذلك القلب المشغول بمحبّة غير الله وإرادته، والشوق إليه والأنس به, لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته وحبه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من تعلّقه بغيره. ولا حركة اللسان بذكره، والجوارح بخدمته إلا إذا فرغها من ذكر غيره وخدمته. فإذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق، والعلوم التي لا تنفع، لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه. وسر ذلك: أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن، فإذا صغى إلى غير حديث الله، لم يبق فيه إصغاء، ولا فهم لحديثه، كما إذا مال إلى غير محبّة الله، لم يبق فيه ميل إلى محبّته. فإذا نطق القلب بغير ذكره، لم يبق فيه محل للنطق بذكره كاللسان. ولهذا في الصحيح عن النبي أنه قال:" لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا". فبيّن أن، الجوف يمتلئ بالشعر فكذلك يمتلئ بالشبه والشكوك والخيالات والتقديرات التي لا وجود لها، والعلوم التي لا تنفع، والمفاكهات والمضحكات والحكايات ونحوها. وإذا امتلاء القلب بذلك جاءته حقائق القرآن والعلم الذي به كماله وسعادته فلم تجد فيه فراغا لها ولا قبولا، فتعدته وجاوزته إلى محل سواه، كما إذا بذلت النصيحة لقلب ملآن من ضدها لا منفذ لها فيه فإنه لا يقبلها، ولا تلج فيه، لكن تمر مجتازة لا مستوطنة. فإذا أردت الاطلاع على كُنه المعنى هل هو حق أو باطل فجرّده من لباس العبارة ، وجرِّد قلبك عن النفرة والميل ثم أعط النظر حقه ، ناظرا بعين الإنصاف ، ولا تكن ممن ينظر في مقالة أصحابه ومن يحسن ظنه نظرا تامّاً بكل قلبه ، ثم ينظر في مقالة خصومه وممن يسيء ظنه به كنظر الشّ ذَر والملاحظة ، فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ ، والناظر بعين المحبة عكسه، وما سلم من هذا إلا من أراد الله كرامته وارتضاه لقبول الحق. فما أحوج الناس إلى الإنصاف، وطلاّب العلم على وجه الخصوص .

هنالك اشراقات واضحة تقدّمت كنماذج ذات قيمة تاريخيّة؛ منها نصيحة ابن تيمية إلى ملك سرجوس، ومن ذلك مواقف العزّ بن عبد السّلام سلطان العلماء وبائع الملوك، وكثير من المواقف التي سجلت صفحات مشرقة في تاريخ تقديم النصح والنقد البناء. يعيش العالم العربي ثورة إعلامية خلقت رابطاً بين

المواطنين العرب من خلال وسائل الاتصال المختلفة. يقول عزمي بشارة إن واقع الإعلام الراهن تشوبه حالة من الفوضى في المعايير المهنية، وذلك لغياب النقابات الصحافية المنظمة والمواثيق الأخلاقية الملزمة والقوانين التي تنظم حرية الإعلام ومهنيته. ووسائل الإعلام الأجنبية تستغل نقاط الضعف والثغرات للنفاذ منها إلى المتلقي لتحقيق استراتيجيتها. وقد لفت إلى أن الحكم على مهنية أداء الإعلام العربي باتت تتم من خلال معايير تضعها مؤسسات غربية[1].

المبحث الرّابع
النّصيحة في التّراث الإسلاميّ

وللنصيحة آداب ينبغي أن تراعى حتى تؤتي الكلمة أكلها، ومن هذه الآداب إخلاص النية لله تعالى، وإرادة الخير للمنصوح له، فمن مقتضى النصيحة أن تريد زين المنصوح له لا شينه. ومنها الصبر على ما يكون من المنصوح من جفوة أو كلمة نابية أو تصرف منحرف أو ردّ فعل سيء. ومنها انه ينبغي أن تكون النصيحة برفق ولين: إنّ الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه، وأن تكون سراً . قال الشافعي رحمه الله:من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. يقول شاعر صور المعنى هذا:

تعمدني بنصحك في انفرادي ****وجنبني النصيحة في الجماعة
فان النصح بين الناس نوع ****من التوبيخ لا أرضى استماعه

فالنصيحة إما أمر بمعروف أو نهي عن منكر. والنصيحة تحمل في معناها ضمن ما تحمل: الإخلاص والصدق والنقاء والصراحة والصفاء؛ فهي مشتقة من الفعل (نصح) أي: خَلَصَ، والناصحُ: النقي الخالص من كل شيء، والنُّصْح: نقيض الغِشّ، ويقال: نَصَحْتُ له، أَي: أَخْلَصْتُ وصَدَقْتُ. كما تحمل أيضًا معنى الإصلاح والنماء.. يقال: نَصَحَ الغيثُ البلادَ نَصْحًا إذا اتصل نبتها فلم يكن فيه

[1] موقع المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات، شبكة الانترنت.

فَضاء ولا خَلَلٌ [1]. وقال ابن الأَثير: النصيحة: كلمة يُعَبَّر بها عن جملة، هي "إرادة الخير للمنصوح له"، فليس يمكن أَن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها. والنصيحة لله تعني: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنـزيهه من جميع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، والاعتراف بنعمته وشكره عليها . والنصيحة لكتاب الله تعني: التصديق به والعمل بما فيه، وتعظيمه، وتلاوته حق تلاوته، والذب عنه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، ونشر علومه . والنصيحة للرسول تعني: التصديق بنبوَّته ورسالته، والانقياد لما أَمر به ونهى عنه، ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه . والنصيحة لأئمة المسلمين تعني: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وألا يُغَرُّوا بالثناء الكاذب عليهم، والدعاء لهم بالصلاح . إن التعامل مع أئمة المسلمين يتطلب معرفة مفاتيح شخصياتهم للولوج إليها، وهو أمر ليس بمقدور الكل القيام به، وإنما هنالك طائفة تحمل الأهلية في تقديم النصح لولاة الأمر، والواجب على البقية التعاون مع هذه الفئة لاستكمال النصيحة. والنصيحة لعامَّة المسلمين تعني: إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما يجهلونه من دينهم، وإعانتهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وتنشيط هممهم إلى الطاعات . فغياب

(1) موقع المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات، شبكة الانترنت.

المجالس المهنية التي ترسي قواعد خلق العمل الإعلامي يتيح فرصة لصحافة الإثارة لبث رسالتها التي تسهم سلباً في الارتقاء بالمجتمع. ومما لا بد من ذكره انه لم يؤثر قط أن من منهج السلف نقد الولاة فوق المنابر، وليس من منهجهم التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع. ولكن الناظر إلى واقع اليوم يلحظ خروجاً عن هذا المنهج، فوسائل الاتصال على اختلاف مشاربها لا تراعي المنهج الشرعي في تلقى الأخبار ونشرها، ولا تراعي ما يقتضيه العقل في نشر وبث رسائلها الاتصالية، بل هي في إطار تحقيق السبق الصحفي وجذب المتلقي تذهب كل مذهب، دونما مراعاة للضوابط الشرعية لتحقيق المقاصد السامية. كانت الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير. وإنكار المنكر الذي يكون من دون ذكر الفاعل منهج نبوي معلوم للكافة. إن المفاهيم الدخيلة التي جلبها الغزو الفكري جعلت من النصح للولاة تشهيرا، فالصراع حول السلطة والثروة ، والمذهبية السالبة التي انتشرت بين المجتمعات، وتتبادل تيارات المجتمع الاتهامات من خلال وسائل الاتصال المختلفة، كل ذلك له أثره في الخروج عن الطريق الأمثل في تقديم النصح والنقد. ففي ظل أنظمة الحكم التي تقسم المجتمع إلى فئة حاكمة بإتباعها وأخرى معارضة لها أتباعها، وفئة ثالثة بين هؤلاء وهؤلاء لا تجد من يستمع إليها، وإنما يتنافس الفريقان لكسب ودها في التصويت في المواقف التي تتطلب الحشد، وعليه فالنصح لا يجد القبول بسبب الآفات التي تعرض له. وتنبع أهمية النصيحة باعتبارها وسيلة من وسائل الإصلاح بسبب قدرة جميع الناس على تقديمها مع التفاوت في درجتها، وهي لا تتطلب جهدًا كبيرًا ولا وقتًا طويلاً في الترتيب والإعداد والتقديم، لا تتطلب إلا مهارات بسيطة يمكن للكل تعلمها . كما أن النصيحة علامة واضحة على حب الشخص المنصوح، فإن أحد معايير الحب هو النصح المخلص، والصديق الذي يقدم النصيحة يُعَد صديقًا لا يمكن الاستغناء عنه في الحياة. وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فقد نَصَحَه وزَانَه، ومَنْ وَعَظَهُ عَلانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وشَانَه. وتأكد أن النصيحة العلنية لا تؤتي ثمارها الطيبة، وإنما تخرج عن كونها نصيحة إلى كونها استفزازًا للمنصوح

وإشعاره برغبتك في فضحه أمام الآخرين، وتسيطر عليه هذه المشاعر؛ مما يجعل أذنيه وقلبه لا تلتفت للمعنى الطيب الذي تشتمل عليه النصيحة؛ مما يجعله يأخذ موقفًا مضادًّا. ولعل هذا المطلب يتعارض مع طبيعة النشر في وسائل الاتصال، الأمر الذي يحتاج إلى إعادة النظر في تقديم النصح وطرق النقد.

وهنالك تأثير واضح للبطانة في النصح والنقد. فما من نبي ولا خليفة، أو مسؤول إلا وكانت له بطانتان تحضه إحداهما على فعل الخير، بينما تحضه الأخرى على الشر. وهي جزء من السنن الكونية وصراع الحق والباطل الأبدي السرمدي إلى يوم القيامة. ولكن مهما يكن من أمر، فان الترحيب بالنصيحة بقلب مسامح، وعقل متفتح، ووجه مبتسم، والتعبير عن قبول النصيحة بكل امتنان وتقدير، والتصميم والعزم على الشروع في العمل بهذه النصيحة أمر مطلوب . إنّ عملية تقديم النصيحة واجب وعبادة تؤدى، بغض النظر عن الطريقة التي يتلقاها بها المنصوح. فأفضل الناصحين ﷺ الذي يقوم بأمر الله عز وجل ووجه بالاستنكار وظل صابرًا محتسبًا، مؤديًا إلى قومه النصيحة، على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء. فان الحوار بين الناصح والمنصوح ينبغي أن يكون بالتي هي أحسن، وإن أساء المنصوح فلا ترد إساءته، وينبغي عدم التقاعس وتثبيط العزم إذا لم يحدث التغيير الفوريّ في سلوك من نصحته؛ فمثل هذه التغييرات عادة ما تحتاج إلى فترة زمنية تنقضي بين الاقتناع، ثم العزم، ثم التنفيذ . كما انه من الممكن عدم الاهتمام بالنصح المخلص، ولكن هذا ينبغي ألا يصيب بالإحباط؛ فقد أظهرت التجارب أن الذين تزعجهم النصيحة الصريحة وتجد الرفض منهم عند تلقيها، يكونون في وقت ما فيما بعد مقدرين وممتنين تمامًا في قلوبهم للنصيحة ومقدمها . وتظهر آفات النصح في العمل المؤسسي عامة والإعلامي خاصة في حالة غياب الأخذ بالقانون ولائحة العمل التي هي المعيار الحقيقي للتعامل المهني كما أن تطبيق سياسة الثواب للمجتهدين وتطبيق سياسة العقاب للمهملين والمقصرين لها أثرها في قبول الرأي والنصيحة من الرئيس لمرؤوسيه والعكس. ومن بين القواعد المهمة عدم التعامل مع المرؤوس مباشرة دون علم رئيسهم، كما أن احتكار السلطة كلها في يد الرئيس وتطبيق سياسة توزيع الاختصاصات، مع عدم إعطاء رئيس مس ؤولية بدون سلطة؛ أمر مهم. فالمسؤولية والسلطة وجهان لعملة واحدة ، فعملية إتباع أسلوب المواجهة في

العمل وعدم الاستماع للوشايات، وإلا تأخذ القرارات بانفراد يمكن من مجابهة أزمات العمل.

المبحث الخامس
الشّفافيّة وعلاقتها بالنّصيحة

في ظل العولمة الإعلامية والتطورات السريعة فان التعامل مع وسائل الاتصال في ظل العصر الرقمي لم يعد اختياراً بل هو نوع من القدر الذي يفرض علينا أن نتعامل معه باللغة التي يفهمها، لغة الحوار والعقل وتقبل الآخر، لأن المسافات بين البشر باتت متقاربة جدا ولا تسمح إلا بالتفاهم بدلا من الصراع، وإذا كان لا بد من الصراع فان من ابرز أدواته اليوم التقنية الرّقمية[1].

وقد أحدث اختراع شبكة المعلومات الدولية تغييراً جوهريا في حياة الإنسانية. وتعد الشفافية ثمرة من ثمار وسائل الاتصال التي تنقل المعرفة والبيانات والمعلومات على نطاق واسع. إنّ الشفافية ظاهرة تشير إلى تقاسم المعلومات والتصرف بطريقة مكشوفة. فهي تتيح لمن لهم مصلحة في شأن ما أن يجمعوا معلومات حول هذا الشأن قد يكون لها دور حاسم في الكشف عن المساوئ وفي حماية مصالحهم. وتمتلك الأنظمة ذات الشفافية إجراءات واضحة لكيفية صنع القرار على الصعيد العام، كما تمتلك قنوات اتصال مفتوحة بين أصحاب المصلحة والمسئولين، وتضع سلسلة واسعة من المعلومات في متناول الجمهور. تقوم الشفافية على التدفق الحر للمعلومات. وهي تتيح للمعنيين بمصالح ما أن يطلعوا مباشرة على العمليات والمؤسسات والمعلومات المرتبطة بهذه المصالح، وتوفر لهم معلومات كافية تساعدهم على فهمها ومراقبتها. وتزيد سهولة الوصول إلى المعلومات درجة الشفافية .إن تشخيص المشكلات الاجتماعية في

([1]) محمد جاسم فلحي،النشر الالكتروني: الطباعة والصحافة الالكترونية والوسائط المتعددة،ص 162.

المجتمعات العربية كافة ينطلق حيالها من رؤية محورية للإمام ابن القيم يشير فيها إلى أن: قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفرغه من ضده. إنّ فاعلية السّياسات في المجتمع العربيّ والإسلامي يمكن تحقيقها من خلال قراءة متأنية للسياق التّاريخيّ ، وأن واقع هذا المجتمع يتطلب كسر المعادلة التي يعيشها المجتمع من خلال إحلال منظومة السياسات الاجتماعيّة المستوردة واستبدالها بسياسات نابعة من تراث الأمّة وقيمها الحضارية، وحينها فقط يستبين الرّشد من الغيّ، لتسهم في انتشال نفسها والبشرية جم يعاً من واقعها المرير والمتأزم رغم توفر الماديّات، بما تمتلك من رصيد قيميّ وتراث فيه مفاتيح للمشكلات كافّة.
ومهما تنوعت سبل الاتصال، فإن الكلمة الصادقة والنصيحة المباشرة المخلصة ستظل تحتل مكانة عالية وأساسية .إن الشفافية تواجه العديد من التحديات بسبب اعتماد الصحف القومية على المسئولين الرسميين في استقاء المعلومات، بينما تعتمد الصحف الحزبية والمستقلة على المسئولين غير الرسميين وتظهر فجوة في تقييم الأمور [1]. يشير ابن خلدون إلى أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء، وبعيدة عن المروءة. وأن الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس، فأفعال الخير تعود بآثار الخير والذكاء، وأفعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك[2].إن الصحافة ظلت تؤدي دوراً أساسياً في إدارة الأزمات ومواقف الصراع داخل المجتمعات. ويعتمد الجمهور على الصحف في متابعة مراحل الصراع والأزمات، فالصحف التي تعمل في إطار نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي تسهم في تصورات الجمهور تجاه القضايا المختلفة، والتي تشكل الرأي العام[3]. إن النصيحة فرض كفاية يجزي عليه من قام به ويسقط عن الباقين. والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يُقبَل نصحه، ويُطَاع أمره، وأَمِنَ على نفسه المكروه؛ فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة. كما أن الأجر والثواب إنما يكون على قدر المشقة والتعب؛ فترك النصيحة لشخص ما بحجة الحفاظ على صداقته ومودته، أو لطلب الوجاهة عنده ودوام المنـزلة لديه؛ فإن تلك الصداقة والمودة توجب له حقًّا عندك، ومن حقه أن

([1]) عادل صادق محمد، الصحافة وإدارة الأزمات، ص372.
([2]) مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول،ص 333
([3]) عادل صادق محمد، الصحافة وإدارة الأزمات، ص 8.

تنصحه وتهديه ، وتنقذه من مضارها. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (رَحِمَ الله امرأً أهْدَى إليَّ عيوبي) . والواقع في المجتمعات المادية؛ يهتم الإنسان بنفسه فقط، وتظل الغاية هي الحرية الشخصية للتمتع بالشهوات والانقياد وراء الرغبات.، ولذا فلا تجد النصيحة لها مكاناً.

نتائج الورقة

1-إن النصيحة العلنية ربما لا تؤتي ثمارها الطيبة، وإنما تخرج عن كونها نصيحة إلى كونها استفزازاً، وهو أمر يتعارض مع طبيعة النشر في الوسائل.
2-إن تحقيق فاعليّة للنّقد الإعلاميّ الكتابي عبر وسائل الاتصال المطبوع له مقومات وشروط لا تتوفر في واقع المهنة بسبب النظم الإعلامية.
3-إن عملية تقويم أداء الصّحافة يتطلب منظومة من القيم والتغييرات على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتقنية.
4-هنالك تلازم بين إعلام السلطة والإعلام المناوئ، والأمر يتطلب توخي السلطة الحذر في التعامل مع الآخر تحقيقاً لمبادئ النصح والنقد.
5-ثورة المعلومات بسبب التقنيات المعاصرة، تلغي دور حارس البوابة.
6- إن النّقد من حيث مفهومه وضوابطه وآدابه الإسلامية غير متوفر.
7-يؤثر غياب المعايير المهنية، على اختراق المؤسسات الصّحفيّة.
8-الشّفافيّة يتدثر أصحاب أدعياء الشفافية بها ويتسترون لتحقيق الهداف المذاهب العلمانية والديمقراطية والاشتراكية في محاولة لضرب الإسلام.
9-تقدم بعض وسائل الإعلام نصف الحقيقة لخدعة المجتمع وهي تتدثر بالشفافية لتحقيق مقاصد خفية.
10-تعاني المجتمعات العربية من صراع بين السلطة وغيرها حول السيطرة على وسائل الاتصال لا سيما المكتوبة بسبب تأثيرها في توجيه الرأي العام.
11-إن التوصل إلى اتفاق بين السلطة وأصحاب مهنة الصحافة حول القضايا العامة له مردود ايجابي في التعاون بين الطرفين لتحقيق هدف مشترك.

ثانياً: التوصيات:

-بناء وتنفيذ معايير أخلاقية عالية المهنية من آهل الاختصاص بمهنة الصحافة

فيما يختص بعلاقة الصحفيين بالسلطة.
-تأصيل خلق العمل الإعلامي انطلاقاً من تجربة التراث الإسلامي.
- عدم تبني الصحفيين الأجندة الخارجية والأفكار الدخيلة.